

خطة وزير البنى التحتية الإسرائيلي، أريئيل شارون، بشأن الأمن والتعایش*

أولاً: السياق الاستراتيجي: اتجاهات وتطورات في الشرق الأوسط

(أ) الحقد والكراهية

بعد خمسين عاماً على إيجاد إسرائيل، لا تزال الأحقاد والكراهية والريبة تميز المسرح السياسي في الشرق الأوسط. فعلى أعمق مستوى أساسي، لا يزال الفلسطينيون والعرب غير متقبّلين تماماً لشريعة كيان غير عربي وغير مسلم، كدولة إسرائيل، في المنطقة. فهل يجب أن ننتظر كي تتغير هذه المواقف؟ لا أعتقد ذلك، بل يجب أن تبقى الجهود الدؤوبة لتحقيق السلام مبدأً رائداً في اعتباراتنا كافة.

(ب) سباق تسلح لم يسبق له مثيل (أسلحة تقليدية وغير تقليدية) يجري حالياً في منطقة الشرق الأوسط وإسرائيل، باعتبارها بلداً يستوعب هجرة جماعية واسعة، وعليه أن يلبي حاجات اجتماعية واقتصادية وإنسانية واسعة النطاق، لا تستطيع ولا تريد أن تنافس في هذا السباق.

(ج) إسرائيل بلد صغير

مساحتها 24.000 كلم² (مساحة ولاية نيوجرسي نحو 10.000 كلم²). وكل شيء فيها بمقياس صغير: فالمسافة من نهر الأردن (الحدود الشرقية لإسرائيل) إلى تل أبيب، على الخط الساحلي، لا تزيد على 70 كلم (44 ميلاً)، وإلى حيفا 60 كلم (37 ميلاً)، وإلى القدس 30 كلم (19 ميلاً). ومن السمات البارزة لمنطقة الشرق الأوسط، حالياً، التعزيزات العسكرية التقليدية وغير التقليدية الجارية في الدول العربية المحيطة بإسرائيل. كما أن خطر أسلحة الدمار الشامل، القادم من دول كإيران والعراق، يجعل الأراضي والعمق الاستراتيجي حيويين بالنسبة إلى الأمن عامة، وإلى إسرائيل خاصة. وليس هناك دولة تتخلى عن عمق استراتيجي أو عن أراض ضرورية لها. ونحن في إسرائيل نتعامل مع أرض صغيرة وحداً أدنى من العمق الاستراتيجي.

(د) الإرهاب

1. إن الإرهاب ذا الخطر الاستراتيجي في الشرق الأوسط ليس مجرد مشكلة تكتية. فأعمال الإرهاب سبقت جميع الحروب في المنطقة تقريباً، وأدت إلى نشوبها. وقد شكل الإرهاب عبر الحدود (ضد إسرائيل) في الماضي عاملاً مساعداً في التغلغل السوفياتي/الروسي إلى منطقة الشرق الأوسط.
2. في غياب المكافحة الإقليمية المنسقة للإرهاب، فإن كلاً من الجهود السلمية والسلام نفسه سيبقى رهينة للإرهاب والمحرضين عليه.

(هـ) مشكلة اللاجئين

إن هذه المشكلة هي المأساة الحقيقية في الصراع. فهناك نحو مليون فلسطيني غادروا إسرائيل خلال حرب الاستقلال، وقد فعل معظمهم ذلك بتشجيع من الدول العربية الغازية. وفي موازاة ذلك، استوعبت إسرائيل نحو مليون يهودي من دول عربية وإسلامية متعددة، بعد أن فرّوا وتركوا وراءهم ممتلكاتهم جميعها. والحلّ هو بإعادة توطين اللاجئين حيث يعيشون الآن (من خلال جهد مشترك دولي وعربي. إسرائيلي).

* النص مترجم عن أصله بالإنكليزية الذي حصلنا عليه من مصدر خاص. ولم يُذكر التاريخ الذي نُشرت فيه هذه الخطة.

وفيما يتصل بلاجئي سنة 1967، فإنه يجب أن يؤخذ إمكان عودتهم في الاعتبار. أمّا بالنسبة إلى الباقين، فقد يكون التعويض المتبادل حلاً عادلاً لهم (للفلسطينيين ولليهود الوافدين من دول عربية على السواء).

(و) اتجاهات وتطورات مستقبلية

هناك اتجاهان متنافسان في الشرق الأوسط:

1- تطور متدرج للتفهم والاهتمام بشأن التنمية الاقتصادية، والتحديث، والانفتاح على الغرب.

2- نمو الأصولية الإسلامية المتشددة، بمظاهرها المتنوعة.

وهناك صراع قائم بين هذين الاتجاهين في دول كثيرة في الشرق الأوسط. وما من شك في أن الاتجاه الأول سيشكل، إذا ساد، تطوراً بارزاً جداً في المنطقة نحو إقامة سلام دائم. لكن ذلك سيكون عملية طويلة ومديدة، محفوفة بالمخاطر والأخطار المباشرة.

ثانياً: اتفاقات السلام

مع مصر: اتفاق سلام فاطر نسبياً، لكنه شديد الأهمية.

مع الأردن: سلام متنام، أَرْضَى بَأَن أَكُون شريكاً فيه ومساهماً في تطويره.

مع الفلسطينيين:

(أ) إن الحكومة الحالية قبلت اتفاق أوسلو، على الرغم من التعقيدات والمخاطر التي يتضمنها. وإنني شخصياً، كسائر أعضاء الحكومة الإسرائيلية كلهم، أريد، وأعتقد أن من الممكن والضروري، التوصل إلى اتفاق سلام مع الفلسطينيين.

(ب) إن اتفاق أوسلو مهم جداً للفلسطينيين، باعتباره الوثيقة الرسمية الوحيدة المتفق عليها، التي حصلوا عليها.

(ج) بالنسبة إلى إسرائيل، فإن البعد الزمني بالغ الأهمية، لأنه سيتيح تطوير علاقات طبيعية من التعايش. (د) بما أن الفلسطينيين يشكّون في عزم إسرائيل على تنفيذ الاتفاق، فإنهم مهتمون بممارسة ضغط عليها. (وهم، بذلك، يعلّقون ويؤخرون تنفيذ ما كان ربما تمّ الاتفاق عليه). ويجب التشديد على أن أي ضغط يؤدي إلى زيادة المخاطر الأمنية على إسرائيل مرفوض تماماً.

(هـ) مع أن السلطة الفلسطينية تسيطر الآن على 98% من السكان الفلسطينيين في يهودا والسامرة، فإن شكاواها الأساسية هي أن المناطق الخاضعة لنفوذها تشبه "الجنة السويسرية" في فقدان التواصل بينها، بينما تسبب الحواجز الأمنية وإغلاق الطرقات مضايقات للسكان المدنيين.

(و) إسرائيل تصرّ على المعاملة بالمثل: ينبغي لكلا الطرفين احترام التزاماته وتنفيذها. ومن المؤسف أن الفلسطينيين لم يراعوا هذا المبدأ في حالات كثيرة، ولم ينفذوا التزاماتهم. ومن الأمثلة لذلك: إن الميثاق الفلسطيني الذي يدعو إلى تدمير إسرائيل، والذي ينبغي للمجلس الوطني الفلسطيني أن يلغيه، لم يتغير بعد. كما أن عدد القوات المسلحة الفلسطينية لم يتم خفضه إلى الحجم المتفق عليه. واتفاق الخليل الذي وقّعه الفلسطينيون ما زال ينتظر التنفيذ. وعلاوة على ذلك، فإن السلطة الفلسطينية لا تقوم بمكافحة حقيقية وكاملة لبنى الإرهاب التحتية في المناطق الخاضعة لنفوذها، وفقاً لما التزمت القيام به في الاتفاق.

(ز) يهودا والسامرة . الجذور الثقافية التاريخية للشعب اليهودي: ينبغي للمرء أن يتذكر دائماً أن يهودا والسامرة، أو ما يسمّى "الأراضي المحتلة"، هي مهد الشعب اليهودي. فقد كان هناك حياة يهودية متواصلة ووجود دائم في إسرائيل طوال آلاف الأعوام. وليس هناك أمة أو دولة على وجه الأرض تتخلّى عن أراضٍ ومواقع تاريخية ترتبط بجذور وجودها القومي. (نذكر من ذلك مغارة الآباء [الحرم الإبراهيمي في الخليل]، وقبر راحيل، وبيت إيل، وشيلو). ومع ذلك، قررت إسرائيل أنها مستعدة لتسوية وتقديم تنازلات في سبيل التوصل إلى سلام.

ثالثاً: كيف يمكن التقدم بالعملية؟ مبادئ مقترحة

(أ) تلافي الأزمة: يجب بذل كل جهد ممكن، في سياق المفاوضات، للحؤول دون أية أزمات قد تؤدي إلى انهيار العملية كلها.

(ب) ينبغي لإسرائيل أن تحاول وأن تفعل كل ما هو ممكن لتسهيل وتحسين ظروف الحياة اليومية للفلسطينيين في المناطق.

(ج) ينبغي لإسرائيل أن تحمي المتطلبات الاستراتيجية الأساسية لأمنها ووجودها، وأن تصر على صيانتها، بما في ذلك الإبقاء على مناطق أمنية.

(د) يجب أن يكون موقف إسرائيل واضحاً وصريحاً حيال ما يمكنها أو ما لا يمكنها القيام به.

(هـ) يجب مبدئياً، اعتماد مسارين متوازيين لتفعيل عملية السلام:

1. **المسار الاستراتيجي السياسي:** (الحدود؛ الأمن؛ الاتفاقات الإقليمية والتبادلية؛ وسواها).

2. **المسار الاقتصادي الإنساني:** (تحسين الأوضاع الاقتصادية، والحوافز الإنسانية، وإجراءات

بناء الثقة المتبادلة، وسواها).

ويجب تقسيم العملية إلى مرحلتين:

(أ) السعي لتوفير التواصل [الجغرافي] الفلسطيني، الذي سيسمح بالتنقل والسفر الحر في مهلة محددة من الزمن (في أراضٍ خاضعة لنفوذهم). فللسلطة الفلسطينية حتى الآن نفوذ كامل على أجزاء من الأرض، وعلى أكثر من 98% من السكان.

أما المناطق الأمنية فستبقى في يد إسرائيل، وتحت السيطرة الأمنية الإسرائيلية الكاملة.

(ب) تطوير التعاون الأمني والاقتصادي والمدني لتعزيز الطمأنينة والثقة من أجل التعايش السلمي المتبادل. وكلما كان التعاون أكبر أصبح التوصل إلى اتفاق دائم أسهل.

الخلاصة

إن الوضع الراهن هو، في رأيي، أن من الممكن التوصل إلى اتفاق مع الفلسطينيين في المرحلة الانتقالية، يكون شبيهاً بمفهوم عدم الاعتداء. وسيتيح هذا للفلسطينيين إمكان الحفاظ على اتفاقات أوسلو والتمسك بها، كما يتيح للإسرائيليين الوقت اللازم للتدقيق والتأكد من أن الظروف نضجت لقيام سلام حقيقي ودائم. وأخيراً، أود التأكيد أن هذه المقاربة البديلة من تلافي الأزمة، وأن مفهوم اتفاق "أقل من السلام"، الذي عرضته هنا، يجب اعتباره موقفاً تراجعياً؛ فإذا أصبح من الواضح للأطراف جميعاً، في لحظة ما، أن الجهود الراهنة للتوصل إلى اتفاق قد فشلت، أرى أنه سيكون في مصلحة كلا الطرفين، إسرائيل والفلسطينيين، أن يتبنى هذه المقاربة وسيلة للخروج من المأزق وإحياء عملية السلام.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي

التالي: majallat@palestine-studies.org

يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:

http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx